

فأجمعوا على تخليته فخلوه، فقال له الناس وحملوه على قومه: أسلمك قومك ولم يمنعوك، ولو شاءوا منعوك.

فقال:

لعمرك ما جاءت بنكر عشيرتى *** وان صالحت اخوانها لا ألومها

يودّ جناة الغنى أن سيوفنا *** بأيماننا مسلولة لا نشيمها

ومذهب عبداً بن الزبيرى في نظره إلى اشتغال قومه بالتجارة هذه النظرة، وفى تمجيد تلك البطولة الزائفة التي يكتسبها العرب في اغارة بعضهم على بعض من أجل السلب والنهب، كان مذهب غيره من شعراء العرب، ولقد غلوا في ذلك إلى أن مجدوا أعمال صعاليتهم، ولم يكونوا الا لصوصاً لا عمل لهم الا قطع الطريق، ونشر الخوف والذعر بين الناس، ونهب أموالهم بالظلم والعدوان، ومما جاء من الشعر في تمجيد بطولتهم قول حاتم الطائي:

صعلوك يساور همه *** ويمضى على الاحداث والدهر مقدماً

فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة *** ولا شعبة ان نالها عد مغنما

إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت *** تيمم كبراهن ثمّت صمّما

يرى رمحه ونيله ومجنه *** وذا شطب غضب الضريبة مخدما

وأحناء سرج فاتر ولجامه *** عتاد أخی هيجا وطرفاً مسوما

فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه *** وانعاش لم يقعد ضعيفاً مذمما

وكان من أمثل أولئك الصعاليك عروة بن الورد العبسى، وكان يقال له:

عروة الصعاليك، لجمعه اياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم، ولم يكن لهم معاش

ولا مغزى، وكان عروة شاعراً من شعراء الجاهلية، وفارساً من فرسانها وصعلوكاً من

صعاليكها المعدودين المقدمين الاجواد، وهو القائل:

لحى صعلوكاً إذا جن ليله *** مضى في المشاش ألفاً كل مجزر

يعد الغنى من دهره كل ليلة *** أصاب قراها من صديق ميسر(1)

(1) في رواية يعد الغنى من نفسه.

